مظاهر الاصطفاء الإلهي لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

رؤية تاريخية استراتيجية

عبدالباري محمد الطاهر الشرقاوي

جامعة طيبة

الحمد لله والصلاة والسلام على جميع أنبياء الله ورسله، وعلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين، وبعد

فيمثل جوار رسول الله ﷺ في ذاكرة الأمة الإسلامية؛ حيث كانت تُرَبِّي على موعد مع دولة الإسلام الأولى التي تعد المثال الذي يحتذى؛ بل تغير اسمها، ورسمها، وكانت تناسب المهمة التي أعدها الله لها، فقد رآها رسول الله ﷺ بمعالم جغرافية واضحة، وهذه المعالم دلائل اصطفاء إلهي لها من الناحية الجغرافية، ثم إن هذا المكان قد اصطفاه الله زمانيا، ودينيا، ولغويا، واجتماعيا؛ ليصبح بعد ذلك مكانا مميزا يليق بطبيعة مهمته الكبرى كأول موطن للدولة والدعوة

فما مظاهر اصطفاء مهاجر رسول الله ﷺ المكانية والزمانية واللغوية والدينية والاجتماعية؟

هذا ما تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه في عقد مظاهر على النحو التالي:

مقدمة عن أهمية الموضوع وأهدافه.

المظهر الأول اصطفاء المكاني لمهاجر رسول الله ﷺ.

المظهر الثاني اصطفاء الديني لمهاجر رسول الله ﷺ.

المظهر الثالث اصطفاء اجتماعي لمهاجر رسول الله ﷺ.

المظهر الرابع: طفاء اللغوي لمها جر رسول الله ﷺ.

المظهر الخامس: طفاء الزماني لمها جر رسول الله ﷺ.

الخاتمة: الاستراتيجية المستقبلية لمها جر رسول الله ﷺ، نتائج البحث وتوصيله.

وسيتم معالجة هذا الموضوع من خلال الدراسة الجغرافية المعاصرة والرؤيا التاريخية والتاريخية.

أهمية الموضوع وأهدافه

اختار الله تعالى موطن مولد الرسول الخاتم وفبكاة ﷺ مكة، وكذلك اختار الحق سبحانه مها جر نبيه ومستقر دولته ﷺ فكانت "المدينة النبويّة" داراً للهجرة، وقد أرى الحق سبحانه وتعالى كلها لرسول الله ﷺ، وتشير الرؤيا الصحيحة إلى عقلأمور أساسيلتنهرئيا لأنبياء حق، وأن صفة المكان الذي أصبح مها جر لرسوللان للهﷺ عي، يزرع النخيل، وموقع محمي حملية طبيعية بلابتين، وأرضها سبخة أيضا أي صالحة للزراعة، وأن الرسول ﷺ رأى هذا المكان أكرم من قر).

وبهذا تأكد أن "الاختيارية الإلهية" ولا شك في أن هذا الاختيار أو الاصطفاء لملامح وسمات، هي ما ستعالجه هذه الورقة؛ لتصل بنا في النهاية إلى تحقيق الأهداف التالية:

(١) بيان مكانة المدينة المنورة عند الله سبحانه وتعالى، وتأكيد قدسيتها.

(٢) بيان سمات دولة الإسلام الأولى.

(٣) ترسيخ حب المدينة المنورة في النفوس.

(٤) روح الانتماء لهذا المكان الذي به أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال.

التأكيد على قيمة المكان الأول الذي أشرقت منه شمس الحضارة الإسلامية على الآفاق.

(٦) الربط بين الدراسات التاريخية والجغرافية.

وإذا كانت رؤيا الرسول ﷺ إلى اختيار رباني لمكان زراعي ذات طبيعة جغرافية معينة، فإن القرآن الكريم أشار إلى بعد معنوي بالغ الأهمية هو أن مهاجر الرسول ﷺ صدق وسماه بذلك؛ فقال جل ثناؤه لرسوله ﷺ معلمًا إياه كيف يتواصل مع المكان الجديد: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً) سورة الإسراء، الآية 80، وابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله تعالى: (ب أدخلني مدخل صدق ....) الآية( ).

ولقد عرفت " المدينة المنورة" بل هجرة رسول الله ﷺ إليها بأسماء كثيرة منها اسم يثرب الذي ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مرة، كما ورد اسم "المدينة" القرآن الكريم كذلك، وسماها رسول الله ﷺ بأسماء أخرى، عدد من الأحاديث النبوية، أهمها: طابة وطيبة، لعل السبب في تغيير اسمها القديم أن دلالته اللغوية منكرة، فكلمة يثرب في اللغة مشتقة من الثرب ومعناه اللوم الشديد أو الإفساد والتخليط( ).

وجدير بالملاحظة أن البكيد ﷺ اصطفاء الإلهي لهذا المكان، وحدد خصائصه التي ميزه عن غيره، وهذه الخصائص بعضها يرتبط بالمكان، وبعضها يرتبط بالمباني فوق هذا المكان، وبعضها الآخر يرتبط بالسكان الذين يستوطنون هذا المكان، وبعضها يرتبط بأدب التعامل مع المكان وما فيه ومن وهذا ما سيوضحه بإيجاز هذا البحث بإذن الله.

المظهر الأول

الطبيعة الجغرافية لمهاجر رسول الله ﷺ

يتميز موقع المدينة المنورة (تقع شمال الجزيرة العربية بجنوبها عن طريق رحلة الشتاء والصيف، وتتميز مناخها المتوسطي بالحار الشديد ولا البارد القارس) بإمكانية المعيشة المستقرة طيبة فيها، ولكونها تقع في واحة خصبة وبها وديان، غزيرة المياه محصورة بين حرّتين وفي أرض سبخة، أصبحت ذات تحصينات طبيعية أهلها لأن تكون مدينة قيادة واستقرار( ).

لقد اشتهرت المدينة بالجبال( ) والوديان( ) والحرار( ) المتكونة من الرواسب البركانية التي عصفت بهذه المنطقة عبر السنين، وقد أفادت هذه الطبيعة في تكوين أرض خصبة، وأسهمت وفرة المياه في العمل بالزراعة، ثم في تربية الحيوانات.

غير أن أهم ما ميز المدينة "يثرب" وجود لابتين "حرتين" إحداها في الشرق وتسمى "حرة واقم"، والأخرى في الغرب من المدينة وتسمى "حرة الوبرة"، وترجع أهمية الحرتين إلى ما يلي:

(١) أنهما مثلتا حاجزا طبيعيا يحمي المدينة من أعدائها الذين يغيرون عليها.

(٢) أن ببطنهما توجد وديان تسمح بالحياة والزراعة والرعي.

(٣) أنهما أصبحتا تحدان حرم المدينة المنورة كما جاء في الحديث .

ولقد كان اعتماد أهل المدينة على الحصون والآطام( ) بدل الأسوار في حماية أنفسهم وممتلكاتهم، ولعل أهم العوامل التي جعلتهم يركّزون على بناء الآطام بدل الأسوار( ): اختلاف سكان المدينة، فمنهم العرب وهم قبائل، واليهود وهم قبائل أيضاً، وكثيراً ما كانت الحروب تنشب بين العرب بعضهم مع بعض أو بينهم وبين اليهود فكان كل قوم يلتجئون إلى حصونهم لحماية أنفسهم وممتلكاتهم، ولا جدوى من السور في هذه الحال ما دامت الحروب داخلية، وهذا الأمر يختلف عن الطائف آنذاك مثلاً، فإن تجانس سكانها واتحادهم في الدفاع عن بلدهم، وانعدام الخوف من بعضهم البعض؛ مكّنهم من بناء سور يحمي مدينتهم بشكل عام. فعملية بناء الأسوار أو الحصون خاضعة للظروف الأمنية داخل المدن، فإن كان الأمن مستتباً كانت الأسوار، وإلا كانت الحصون والآطام.

ولجبالها ومرتفعاتها شهرة اكتسبت معظمها بعد هجرة الرسول إلى المدينة، وبسبب ما حدث عندها من حوادث مهمّة في تاريخ الإسلام.

تحيط بالمدينة قرى و ضياع، كان لها في أيام الجاهلية شأن كبير من حيث عمرانها و خصبها وازدهارها و حصونها ومناعتها في الحرب، وقد بقي قسم من تلك القرى حتى اليوم محافظاً على خصبه، به كثير من النخيل والثمار، وأهم هذه القرى العقيق و خيبر وفدك ولهذه القرى جعل موقع المدينة أهمية خاصة؛ حيث ستصبح بعد ذلك امتدادا عمرانيا طبيعيا للدولة الجديدة كما أنها كانت دافعا للاستقرار.

لقد جاءت في بعض الروايات الخاصة برؤيا الرسول ﷺ لموطن هجرته أنها أرض ذات نخيل، وقد عُرفت المدينة منذ العصر الجاهلي كمنطقة زراعية، وأعطى ذلك الطابع أهلها نوعاً من الاستقرار ولا تزال المدينة تحتفظ بمكانتها الزراعية، وفيها أعداد كبيرة من النخيل والأعناب وغيرها.

لقد عرفت المدينة المنورة منذ القدم بأنها واحة خصبة، تتميز بوفرة المياه و خصوبة التربة أما المياه فتجري إليها الأودية من جهاتها الثلاث الشرق والجنوب والغرب، وتتجمع شمالاً وهي على التوالي: وادي قنا في منيب ووادي مهزور ووادي بطحان ووادي العقيق، وهذا أكبر أوديتها وأشهرها، وتنتشر في الأرض الواقعة بين هذه الأودية العيون والمياه السطحية والآبار القريبة المياه لتروي البساتين والمزارع وأما التربة فتمتد فيها الرواسب البركانية الناتجة عن تفتت الحرار والرواسب الطبيعية التي تجرفها السيول، وتشكل هذه في مجموعها أخصب تربة تنمو فيها المزروعات.

ولقد كان لهذه الطبيعة أثر كبير في اجتذاب الهجرات المتوالية بدءاً من الجماعة البشرية التي قادها يثرب) بن قانياء، والتي أسست المدينة ووصولاً إلى قبائل الأوس والخزرج التي خرجت من اليمن باحثة عن أرض تناسبها لتستقر فيها كانت الزراعة المهنة الأولى لسكان يثرب ومصدر الدخل الرئيسي، وعندما وصل المسلمون المهاجرون من مكة، ولم يكونوا مزارعين، كانت يثرب) مجموعة كبيرة من المزارع تمتد من جبل أحد شمالاً إلى جبل عير جنوباً، ومن وادي قناة شرقاً إلى العقيق غرباً.

وكانت القبائل تتوزع بينها متجاورة حيناً ومتباعدة حيناً آخر، وخاصة القبائل اليهودية ولكل قبيلة مزارعها وآطامها وحصونها في جبل أحد كانت الغابة المشهورة التي تمتد عقلاً كيال، وهي غابة طبيعية كثيرة الأشجار إلى مشارف العصر الحديث قبل أن يقضي على معظم أشجارها الحطابون والفحامون.

وقد اشتهرت المدينة بزراعة النخل وجودة محصوله، وكان أهل مكة وغيرها يسافرون إلى المدينة ليشتروا حاجتهم السنوية منها، وعندما حاصر المسلمون بني النضير أكثر ضغط عليهم التهديد بإحراق نخلهم. وكان في المدينة إضافة إلى مزارع النخيل بساتين العنب الواسعة وبساتين الخضار المستقلة حيناً والمتخللة أشجار النخل حيناً آخر. وكان إنتاجها يسد الحاجة المحلية غالباً( ).

ولقد أدى هذا الموقع الجغرافي المتميز إلى حركة تجارية متميزة، فالمدينة تزرع وتنتج، ثم هي على طريق القوافل تبيع وتشتري. وعن التحصينات الطبيعية على الرغم من عدم وجود أسوار وانهسا ط الأرض وانفساحها.

ولما حل رسول الله ﷺ على المدينة المنورة أنار منها كل شيء، وبين خصائصها التي حفظتها وذكرها، ومن هذه الخصائص تمثل إعجازاً تاريخياً يراه الناس كل يوم، فالبركة التي يلمسها سكان المدينة في طعامهم وشرابهم ومعاشهم، والرضا النفسي والطمأنينة القلبية التي يدركونها في جوار المسجد النبوي من دلائل هذا الإعجاز التاريخي.

ومن أهم هذه الخصائص التي أشار إليها رسول الله ﷺ أن الله تعالى جعل المدينة حرماً لرسوله ﷺ ( )، وحرسها بالملائكة( )، وجعل الإيمان يأرز إليها( )، وأكد النبي ﷺ أنه سيشفع لمن سكن فيها، وصبر على لأوائها، وصبر على شدتها، وماتت فيها( )، ودعا النبي ﷺ لها بالبركة( )، واختارها الله تعالى موضع المسجد النبوي، وجعل أجر الصلاة فيه تعدل ألف صلاة فيما سواه( )، وجعل بها أول مسجد أسس على التقوى.

المظهر الثاني

الا صطفاء الميني لمها جر رسو ل ا لله ﷺ

ا صطفى ا لله تعالى المدينة المنورة أن جعلها موطن حركة ثقافية قبل أن يها جر الرسو ل م حمد ﷺ إليها، فقد جاء اليهود هذا المكان واستوطنوه باعتباره مها جر الرسول الخاتم ﷺ ف الأو س والخزرج أن نبي آخر الزمان قد أطل زمله؛ حيث كان اليهود يخبرونهم بهذا الأمر(فعن ابن عباس قال :كان يهود أهل المدينة قبل قدوم النبي ﷺ قاتلوا من يليهم من بني الشرك من أسد وغطفان وجهينة وعذيستفتحون عليهم ويستنصرون يدعون عليهم باسم نبي ا لله فيقولوا اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذي تنزل عليه الذي وعدتنا إنك باعثه في آخر الزمان.

وعن قتادة قال: قاتل اليهود تستفتح بمحمد على كفار العرب يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجده في التوراة نذبهم ونقتلهم فلما بعث ا لله محمد كفروا به حين رأوه بعث من غيرهم حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول ا لله ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قاتلت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء اللهم إنا نسألك بحق نبيك الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا فهزموا غطفان فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل ا لله:(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة ا لله على الكافرين)( ).

ولعل ا صطفاء ا لله للمدينة لتجمع بعض أهل الكتاب؛ لتتهيأ النفوس بسماع الدين، فإذا رأوا أفعال اليهود تركت نفوسهم للتعرف على الدين الحق الذي بشروا به ولم يسيروا على نهجه، بل إن الأوس والخزرج دخلوا في دين ا لله أفواجا بمجرد تعرفهم على الرسول ﷺ دراكهم صفته وتحققهم من صفاته، حتى إنه لم يمر عام على دخول يثرب في الإسلام إلا وبيوتات المدينة كلها لا تذكر حينا فيها إلا عن نبي آخر الزمان.

كما شرف ا لله المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ أن جعل الوحي ينزل فيها؛ لبيان أحكام بناء المجتمع المسلم وتربيته العبادية والأخلاقية من الداخل والخارج على حد سواء.

وفضلا عن اتصال المدينة المنورة بالسماء عن طريق الوحي، فإنها ترتبط بالجنة التي خلقها الله تعالى لعباده ينظر لوجود أماكن مثل جبل أحد والروضة الشريفة، لأنها بعض من الجنة كما ثبت في صحيح الأخبار المروية عن النبي ﷺ.

ولقد انتشر اليهود في المدينة أكثر من مكة، ويدل الخطاب القرآني لهم ببني إسرائيل على الإطلاق، على الصلة بين معاصري عصر الرسالة وأسلافهم، وعلى كونهم طارئين على الحجاز وأنهم غير عرب( ).

المظهر الثالث

الاصطفاء الاجتماعي لمهاجر رسول الله ﷺ

منذ شاء الله أن يعيش أحياء في المدينة يثرب وفود تستوطنها؛ باعتبارها بيئة استقطاب، ظهر بذلك فيها عناصر من العماليق ومن المعينيين ومن الرومان ومن اليهود ومن الأوس والخزرج. فالمدينة بهذه الصفة بيئة جاذبة تستقطب السكان وتستهويهم.

وهذه العناصر البشرية التي اختلطت المدينة تشير إلى أنها موطن جامع، يحمل في طياته مقومات التعايش الإنساني.

وعلى الرغم من كثرة من قطنها فإن المدينة بلد تنفي خبثها، وقد أشار النبي الكريم، ﷺ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أعرابيا بايع رسول الله ﷺ على الإسلام ثم أصابه وعك( ) بالمدينة فجاء رسول الله ﷺ فقال: أقلني( ) بيعتي فأبى( ) ثم جاء فقال أقلني بيعتي فأبى ثم جاء فقال أقلني بيعتي ؟ فأبى فخرج( ) الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: إن المدينة كالكير( ) تنفي خبثها وتنصع طيبها( ).

ولقد عاش اليهود رداحا من الزمان فيها، فلما خانوا عهد الله وعهد رسوله عوقبوا بالحرمان من البقاء فيها، فمنهم من قتل، ومنهم من تم إجلاؤه كغيرها من الأوس والخزرج ممن حفظوا عهد الله ورسوله فكان لهم مصير آخر.

لقد عرف مجتمع المدينة التحالفات؛ حيث تحالف اليهود مع الأوس والخزرج قبل الهجرة النبوية، لكنهم انطلقوا في تحالفاتهم من مصلحتهم الشخصية، وهذا يخالف ما فعله الرسول صلوات الله وسلامه عليه حين جعل التحالف من أجل التعايش السلمي وتحقيق المواطنة .

وقد أسهم اليهود في نشوب العديد من المعارك بين الأوس والخزرج بحرب سمير وانتهت بحرب بعاث قبل الهجرة بخمس سنوات وما بين هاتين الحربين نشبت أكثر من عشرة حروب، وكان لليهود دور في إثارتها وإذكائها وأهم تلك الحروب والوقائع ما يلي: حرب سمير، وحرب حاطب، ووقعة جحجبا وموقعة السرارة وموقعة الحصين بن الأسلت وموقعة فارع ويوم الربيع وموقعة الفجار الأولى والثانية وموقعة معبس ومضرس.

وكان آخرها وأشدها حرب بعاث، وقد استعد لها كل من الأوس والخزرج أكثر من شهرين بسبب الأحقاد المتراكمة وتحالف الأوس مع بني قريظة وبني النضير، بينما تحالف الخزرجيون مع مزينة وأشجع وخالفهم عبد الله بن أبي بن سلول، والتقى الطرفان في منطقة تسمى بعاث، واقتتلوا قتالاً شديداً، وتضعضع الأوسيون وحلفاؤهم وقتل عدد كبير منهم وبدؤوا بالفرار ولكن قائدهم حضير الكتائب ثبتهم، فقاتلوا بشجاعة وهزموا الخزرجيين وحلفاءهم، وهموا أن يقضوا عليهم نهائياً حتى صرخ رجل من الأوس (يامعشر الأوس انسحبوا ولا تهلكوا إخوانكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب) يقصد اليهود.

وبعد تلك الواقعة سئموا الحرب وكرهوا الفتنة وأجمعوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي بن سلول ملكاً عليهم ليستتب الأمن وتنتهي الفتن.

وشاء الله أن تحدث بيعة العقبة الأولى ثم تليها العقبة الثانية في مكة وشارك فيها أفراد من القبيلتين المتصارعتين، فكانت بداية لتأليف القلوب وجمعها على الإسلام.

وقد استمرت الحروب بين القبائل العربية حتى غلب الإسلام عليها، مثل حروب الأوس والخزرج في المدينة ( ).

أقام بعض العرب في المدن كمكة ويثرب والطائف، وباشروا الزراعة، وامتهنوا بعض الصناعات، وهذا من شأنه أن يقيم لها معاملات المالية والعلاقات التجارية( )

إذا كانت مكة موطن ميلاد الرسول فإن المدينة قد شاركتها في نسبه الشريف، فقد كانت أمه من بني النجار من أهل المدينة( )، فصلة المكان قديمة قبل مجيئه إلى الدنيا.

فأخواله من بني زهرة( )، فآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة( )، فهي تلتقي مع رسول الله في جده الأعلى كلاب بن مرة، فهي من النسب الشريف أيضاً المتصل بإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

ويفهم صلة رسول الله بإسماعيل من قوله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(كما أكد رسول الله انتسابه إلى إبراهيم حين قال " أنا دعوة أبي إبراهيم"( ).

ن الاصطفاء الاجتماعي تمثل في وجود عناصر مختلفة للدولة الجديدة التي سيقوم رسول الله بإنشائها في المدينة، جعلت أخلاط اجتماعية يتوافقون تحت راية الرسول كما تمثل الاصطفاء في النسب الشريف لرسول الله؛ فقد اختار الحق سبحانه لرسوله مكانا يرتبط به دما وروحا.

ولما وصل الرسول مهاجرا وأنشأ الدولة الجديدة ظهر فضل المكان والسكنى فيه، ووصى أهل الإسلام به.

سكانها من الأنصار لهم منزلة خاصة:

لسكنى المدينة من الأنصار مكانة عظيمة وفضلا عند أهل الإسلام، فهم صحابة رسول الله الذين آووه ونصروه، وجاهدوا معه في حياته وبعد بأموالهم وأنفسهم، واتبعوه فرضي الله تعالى عنهم، وسماهم المهاجرون والأنصار، وأخبر عز وجل أنه سيدخلهم الجنة هم ومن أحبهم وترضَّى عنهم قال الله تعالى:

{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} سورة التوبة ١٠٠، وجعل الله عز وجل حب الأنصار علامة لوجود الإيمان فيهم وعلامة على النفاق -والعياذ بالله- ثبت في الصحيح من حديث عن البراء قال سمعت النبي ﷺ وقال: قال النبي ﷺ: "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" ( ).

وصية الرسول بأهل المدينة:

حذر النبي ﷺ من التعرض لأهل المدينة بأي شيء من الأذى، أو الهمّ بإيذائهم لئلا يصيبه من الله عز وجل العقاب؛ لحديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: "لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح في الماء" وعن السائب بن خلاد أن رسول الله ﷺ قال: "من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً" وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما -: "أن أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينة، وكان قد ذهب بصر جابر، فقيل له جابر جاء جابر، فخرج يمشي بين ابنيه فنكب، فقال له من أخاف رسول الله ﷺ فقال ابناه أو أحدهما كيف أخاف رسول الله ﷺ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي" ( )، حث النبي ﷺ على سكناها وعدم الانتقال منها لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد" ( ).

المظهر الرابع

الاصطفاء اللغوي لمهاجر رسول الله ﷺ

فلا تالمدينة المنورةبيئة لغوية متطورةفقد جاءتها عنا صر تتكلم بالعبرية وهم اليهود والتقت بعنا صر من اليمن تتكلم بالعربية الفصحى، ومع هذا تعلم اليهود اللغة العربية، وتعاملوا بها فييثرب، وجعلوا لغتهم خاصة بهم، يستخدمونها وقت الحاجة، ولذلك أمر الرسول محمد بن ثابت بتعلم لغةيهود؛ لأمن شرهم، ويعرف أفكارهم.

وقد بدأ نزول القرآن الكريم في مكة المكرمة، ثم انتقل إلى المدينة المنورةوقد فهم أهل الكتاب لغة القرآن ت بذلك حجة عليهم، وحجة باقية على كل أهل الكتاب فيما بعد؛ حيث ظهر الحق واضحا لديهم ممايجعلهيعرفونه ضهم على الإسلام ليس إلا كبرا وحسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

وإذا كانت مكة قد تأثرت باللغات أو اللهجات التي دخلتها، وأصبحت بيئة لغوية مختلطةالمعالم فإن اختيار المدينة التي بها الظروف البيئية اللغوية ذاتها لدليل من دلائل الاصطفاءحيث شاءت إرادة الله تعالى أن تبقى البيئة اللغوية التيينزل فيها القرآن الكريم بيئة متشابهة.

وحين جاءالمهاجرون من مكة إلى المدينة لمنورةوا ختلطوا بأهلها واندصهرت لهجتهم بلهجة أهل المدينة أصبحت المدينة بيئة لغوية تحمل عبق مكة المكرمة وفصاحة أهلها وتضمإليهعبق المدينة وفصاحتها.ومن هنا نلاحظ أن اليهود فهموا اللغة العربية وتعاملوا بها وبذلك كان خطاب القرآن الكريم لهم واضحا صريحا؛ حين أنهميعرفون الحق ثميحيدون عنه، بل إنهميفهمون بدقة مدلولات اللغة حتى إن القرآن أثبت ذلك حين أخبر عن تحريفهم الكلام عن مواطنه؛كانوايطالبون بأن يقولوا حطة، فيغيروها إلى "حنط"..إلى آخر ما أشار إليه كتاب الله العزيز.

ومن دلائل الاصطفاء اللغوي اختيار اسم طيبةلها لمدينةلاستقرار والتحضر، وفي الرواياتالتي تشير إلى أسماء المدينة الأخرى مثل طابة وطيبة ومدخل الصدق وغير ذلكلتشيركإلى اصطفاء لغوي واضح.

المظهر الخامس

الا صطفاء الزماني لمهاجر رسول الله ﷺ

تعاقب على يثرب جماعات بشرية متعاقبة فقد استوطنها العماليق، وهم أول من تكلم العربية. خضعت يثرب للمملكة المعينية ثم مملكة سبأ وصلتنا أخبارها حيث يثرب واحة من مناطق نفوذها ثم حكم الكلدانيون يثرب إلى أن جاءتها جيوش الرومان وسيطرت عليها قبل الميلاد بعقود؛ حين كانت متجهة إلى مناطق الذهب بأرض اليمن.

وتشير روايات تاريخية إلى أن التبابعة جاءوا إلى المدينة، وحاربوا بعض المتحمرين بها، وقرروا العودة إلى ديارهم، تركوا حامية من أتباعهم وقيل نسله؛ لما بلغهم أن هذا مكان يهاجر إليه نبي آخر الزمان، وتؤيد بعض الروايات مرفتحكي أن أبا أيوب الأنصاري من نسل تبع وأن المنزل الذي جلس فيه النبي صلوات الله وسلامه عليه كان منحة من تبع توارثها الأجيال إلى أن سلمها أبو أيوب إليه صلى الله عليه وسلم.

ا وصاوالملأمر بسكان المدينة إلى حد التحاور بينهم والقتال الدامي المستمر، شاءت إرادة الله أن ينقذ هذا المكان بوصول رسول الإسلام ليجمع شملهم ويوحد صفهم بعد ظهور فيهم الاستعداد الفطري لهذا التوحد وسئموا الحروب والفتن.

الخاتمة

بعد تطوافة عجلى لبيان مظاهر اصطفاء الله تعالى للمدينة المنورة بدءا باصطفاء مكان الهجرة والدولة الإسلامية الأولى؛ حيث الشعب المتبين العناصر والطبيعة الجاذبة للسكنى والاستقرار والاستعداد لتلقي أوامر رب العالمين وتنفيذها والتهيئة اللغوية المناسبة، يمكن القول إن المدينة المنورة كانت اختيارا ربانيا يحقق التوافق بين المكان والمهمة التي اختارها الله تعالى لأجل تحقيقها.

وإن الباحث في نهاية المطاف ليوصي بعدة توصيات لعل أهمها:

(١) وضع رؤية استراتيجية للإفادة من الآثار النبوية الواقعة في فضل المدينة المنورة

(٢) توجيه الدارسين إلى النصوص النبوية المرتبطة بالمدينة المنورة وتحليلها، واستخلاص الدروس التربوية والحضارية منها.

(٣) الاهتمام بجوانب الإعجاز التاريخي المأخوذة من القرآن والسنة والمتصلة بتاريخ المدينة المنورة.

من أهم مراجع البحث:

إبراهيم بيضون: الحجاز والدولة الإسلامية: دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري• المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ١٤٠٣هـ ١٩٨٣/م الطبعة الأولى •

ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٨٩)

ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر (٢٩٠هـ) ، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٩١)

ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٨

ابن هشام: السيرة النبوية.

احمد ابراهيم الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الاول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، ١٩٦٨)

أحمد محمد شعبان: أسوار المدينة المنورة في التاريخ.

الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، (ليدن ،١٨٧٠)

البكري ، ابو عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، معجم مااستعجم ، تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(القاهرة، ١٩٥٤

جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت١٩٥٦)

حاتم عمر طالح عبد الحميد حجار الحبيبة، مكتبة الحلبي – المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

حتي، فيليب وآخرون، تاريخ العرب (مطول)، دار غندور للطباعة والنشر، (لبنان، بلا. ت)

خالد بن علي بن حسين الإصبحية في معرفة مساجد طابة، مطابع الرشيد الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ

السمهودي، نور الدين علي بن احمد (ت ٩١١ هـ) ، وفاءالوفاء دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار احياء التراث العربي، ط١، بيروت١٩٥٥)

السيد جعفر بن إسماعيل البرزة الحظيرة في مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سليم، مكتبة الرفاعي. القاهرة ط١٤١٦ هـ/١٩٩٦م .

السيد عثمان حافظ وذكريات عن المدينة المنورة نادي المدينة المنورة الأدبي ط١٤٠٣/ هـ – ١٩٨٣م .

عبد الباسط بدر التاريخ الشامل للمدينة المنورة الطبعة الأولى بالمدينة المنورة سنة ١٤٣١هـ/١٩٩٩م.

عبد الرحمن الفكي يادت وخواطر عن طيبة الطيبة، مطابع الرشيد / المدينة المنورة ط١٤١٠١ هـ.

عبد السلام هاشم حافظ: المدينة المنورة في التاريخ، نادي المدينة المنورة الأدبي –ط١٤٠٣/هـ١٩٨٣/م.

عبد العزيز العمري: والصناعات في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، ط٣، دار إشبيليا، الرياض ١٤٢٠ هـ.

عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن إبراهيم محكمي عالم المدينة بين العقار والتاريخ ، طبع الكتاب بمطابع دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

عبيد مدني :أطوم المدينة، بحث نشر في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

العمري، أكرم ضياء: المجتمع المدني في عهد النوة: خصائصه وتنظيماته الأولى• الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٨٣•

محمد شوقي بن إبراهيم مكي: أطلس المدينة المنورة.

المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله بن احمد المعروف بالبشاري (ت٣٧٥هـ)،احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل ،(ليدن ، ١٩٠٦)

الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٨٩)

ياقوت الحموي ، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله البغدادي (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان ، دار صادر ،(بيروت ، ١٩٧٧).